ظلال على بعلبك ...

وكأني ارى المراتب والقو
م ، اذا ما بلغت آخر حسي
« البحتري »

هل انتِ ذابلةُ العينين من سَهَرِ
هل أنتِ مُغبرّة الاقـدام من سفرِ ؟
أين الليالي التي عجّت مجامِرُها ؟
فلا يبيت الدجى إلا على شَرَرِ
أغمِضْ عيونكَ تُبصِرْ كلَّ عالَمِها
يمورُ حولكَ مِلءَ السمع والبصر
كأنني ، وشموعُ المعبَدِ اتقدَتْ
في لاهبٍ ، من ليالي العيد ، مستعِرِ
كأنما القومُ قد هَبُّوا على عَجَلٍ
ما بينَ مُؤْتزِرٍ ، او نِصْفِ مؤتزِرِ
كأنني ، والحواريّاتُ قد رقَصَت
مُوَشّحاتٍ بنور الشمس والقمر
مُضَمّخاتٌ ، تملّى الليلُ من فمها
من أنبأ الليلَ عن ذاكَ الفم العَطِرِ ؟
مرّت على قاصرات الطَّرف عاريةً
فينوسُ في ركبِها مضفورة الشَّعَرِ
كأن فينوسَ قد أوصت صواحِبَها
أنَّ الخَفَارة أن تحيا بلا خَفَرِ
والحوضُ ، من حوله الاجسادُ عالقةٌ
متى تفورُ عليها موجةُ النَّهَرِ ؟
والآلهاتُ على الأطناف شاخِصةٌ
كأنهُن على ميعاد منتظِرِ
من كل غاويةٍ شفّت مفاتنُها
عن النهود ، إلى مصقولة السُّرَرِ
وكل ناذرةٍ أرختْ مآزرها
على حبيبٍ ، وراء الغيب مُستتِرِ
او غادةٍ مطلعُ الاقمار ملعبها
شبّت على اللهو بين العزّ والخطر
قد مثّلتها يدُ النحّاتِ خائفةً
ما أفتنَ الحسنَ ، فيه لفتةُ الذُّعُرِ !
يا قدّها اللّدْنَ ألوى عنه هاصِره
لما تحجّر قـداً غيرَ مُنهصِرِ
يا نهدَها الصُّلبَ قد جفّتْ عُصارته !
كم مارَ من لذةٍ في كفٍّ مُعْتصِرِ !
يا للعيونِ التي في طرفها حَوَرٌ
ما بالُها جمدتْ دهراً بلا حَوَرِ !
مشقوقة الجفن لما تغتمِضْ حَذَراً
يا ويْحها ! أتظلُّ الدهرَ في حَذَرِ ؟

* * *

يا لَلمساربِ باللّذاتِ عابقةً !
أمَا تنشقتَ عَبْق الحب في الحُجَرِ ؟
كأنني ، والعـذارى في مساربها
يخرجْنَ مفتقداتٍ مَلمَسَ العُذُرِ
وذاكَ «باخوسُ» يسقي الشَّربَ خمرته
فاعجب «لباخوسَ» شيخ الحانة ، الخَمِرِ
الدينُ — عندهمُ — ما شئتَ من طرَبٍ
والعيشُ سُكْرٌ على سكْرٍ مدى العمُرِ
« أسكِرْ همومكَ ! » هذا كلُّ دينِهمُ
برِئتُ ممن يشوبُ الصفو بالكدرِ

* * *

أذاكَ حُلْمٌ تولى عنكَ سامِره
فأين منه نَدامى الكأسِ والوترِ ؟
لا أرتضي الحُلْمَ إلا لمسةً بيدي !
لا تلمسُ اليـدُ إلا عافيَ الأثرِ
يا ساري الحلم مهلًا ! ها هنا أبَدٌ
ملَّ الخلود ، فيا للْخالدِ الضَّجِرِ !

هذي منازلها – رغمَ البلى – برزتْ
يفوح منها عتيقُ الطيّب في السَّحَر
يا نَسمةَ الطيّبِ ،قد بورِكتِ فائحة
ألطيّبُ عنهنّ، أم من عابقِ الزّهَر؟
يا معْبدَ الشمس! اين الشمسُ أعبدُها؟
ما أثقلَ الليلَ بالأوراد والذُّكرِ !
يا معبد الشمس،ليس الليلُ من شغلي
ولا العبادةُ بالآلام من وَطري
هـذي حياتكَ، في أنضاءِ غابرها
وما تمثّلَ من آياتها الغُرَر
وما بها من تهاويلٍ مُزَوَّقةٍ
هل خلّدَتها سوى كفٍّ على حجر؟

* * *

المعبد الحرُّ ، ما فيه سوى عَمَدٍ
مثلِ الثُّكالى مُكبّاتٍ على حُفَر
او الحسان، طوت بُرْدَ الشباب، فما
حياتُها غيرُ آهاتٍ من الضَّجر
او السبايا حثَثْنَ الخَطْوَ عن ذعُرٍ
فهنّ ، من شدة الاعياء ، في بَهَر
يرُدْنَ، حيثُ تنامُ الارض لاهبةً
ظلّا من الصخر ، او فيئاً من الشجر
تموجُ فوق سراب الوهم حائمةً
ما ضَرَّ لو جاءها طلٌّ من المطر
لاوِرْدَ تطلب سُقْياه ، ولا صَدَرٌ
ترتدُّ عنه ، أليس الوِردُ كالصَّدَر ؟
يسقطن واحدةً ، في إثر واحدةٍ
كأنهن ضحايا المعبد الوَقِر

* * *

ما للتماثيلِ حَسرى في مشارفها !
أُنظرْ اليها ! ألا تختالُ في الطُّمُر ؟
ألوتْ بأعناقها ، لم يدر ناظرها
أنكسة الذلّ ، ام إلواءة الصَّعَر ؟
يا ربَّ تمثال ربٍّ كان منتصراً
فما له اليومَ أمسى غيرَ منتصر ؟
أذلّهنّ زمانٌ كنّ غرّتَه
وعافهنّ دُمىً في ملعب القَدَر

فصِرن مُتعةَ زوّارٍ على مَضَضٍ
وهُنّ من لفّهُن العزُّ بالسُّتُر
يا مَعْبَداً للجمال البِكرِ مَعْرجُه
يهفو عليه جلال الكِبْرِ والكِبَر
في كلّ مَسحَبِ خطّ عالمٌ عَجَبٌ
وكلّ حانيةٍ فنٌّ لمبتكِر
ما بين مُؤتلِف فيها ومختلفٍ
وبين مُسْتترٍ منها ومنتشر
فأنتَ وسْنانُ ، في أطلالها ، يقِظٌ
تنبيكَ عن بشرٍ ليسوا من البشر
أصامتون جَلالاً في أماكنهم ؟
ام ناطقون بصرف الدهر والغِيَر ؟
في كل لفتةِ جيلٍ يرتمي حجرٌ
كم أجفلتْ منه ذُعْراً ربّةُ العُصُر!

* * *

ما بالُ أُسْدكِ ، في الأسوار قابعةً ؟
هل مَلّتِ النّأمَ ،ام بجّتْ من الزأر؟
ام الحنينُ الى الآجام أذهلها ؟
فما اطمأنّتِ الى جنٍّ ، ولا بشر
يا ربّةَ الظُّفْرِ لا ترْجي ولا تثِقي !
تبقى الحياةُ على الأنياب والظُّفُر
والنسر مدّ جناحيه على حذرٍ
عجبت للنسر ، لم ينهضْ ، ولم يطِر !

* * *

رأيتَ يا مسمعي منها ، ويا بصري
سمعتَ عنها..فواسَمْعي ووابصري !
هذي النفوسُ متى ولّى مُصوّرها
كأنّ ريشتَه تختالُ في الصُّوَر
يا قبضةَ الفنّ ما رقّتْ أناملُها
إلا لترعش منها قبضةُ القَدر
يا عِبرةَ الدهر ! إني غير معتبر
في عبرة الفن ما يغني عن العِبر

* * *

من السعادة ان ننسى حقيقتنا
عند الشقاء،وان نعفو على الذّكَر..

خليل الهنداوي